

مظاهر الوعي بالذات الإفريقية

في قصيدة " أنا الإفريقي " لمحمد الفيتوري.

*The manifestations of the african self-consciousness in a poem
"I am the african " by Mohammed Al-fayturi '.*

طاهر لعجيسة *

محمد مكافي

تاريخ النشر	تاريخ القبول	تاريخ الارسال

الملخص:

تُعتبر قضية الأنا والآخر من أهم القضايا التي شغلت الساحة الأدبية والنقدية الحديثة منها والمعاصرة، وتم تجسيدها في العديد من الأعمال الأدبية، وقد تناول الأدب الأسود العلاقة الجدلية بين الأنا الإفريقي والآخر الغربي تعكس رفض الذات الإفريقية للآخر الأوروبي عن طريق تقديم الصورة الحقيقية للأفارقة وتعرية الخطاب الكولونيالي وفضح ممارسات الرجل الأبيض وعنصريته.

ويعدّ محمد الفيتوري واحداً من أعظم أدباء الأدب الأسود عموماً والأدب الإفريقي خصوصاً نظراً لغزارة إنتاجه حول هذه القضية وقوة أسلوبه وعباراته؛ إذ سخر حياته للدفاع عن إفريقيا وإسماع صوتها ومعاناتها للعالم، وقد ظهر ذلك جلياً في الكثير من أشعاره ومنها قصيدة 'أغاني الإفريقي' أو 'أنا الإفريقي' والتي خصصناها بالدراسة لاستجلاء مواطن الوعي بالذات الإفريقية، وقد خلصنا إلى بيان خصائص الشخصية الإفريقية في مقابل تصويره الشاعر للمحتل الغربي ضمن الصراع الثنائي بين الأنا والآخر أو المركز والهامش.

كلمات مفتاحية: الأدب الأسود، الأدب الإفريقي، الأنا، الآخر، الفيتوري.

Abstract:

Mohammed Al-fayturi is a great poets concerning abundance of his production about this issue, he dedicated his life to defense of Africa and make its voices and heard to the world, so this study attempt to investigate the sites of self- consciousness in a poem "I am the african " by Al-fayturi and it concluded to the characteristics of African personality opposite to the true picture of the western colonialism.

Keywords: the nigger literature; the african literature; ego; other; Al-fayturi.

* جامعة خميس مليانة tahar.ladjissa@univ-dbk.m.dz

+ جامعة خميس مليانة mekaki.2012@gmail.com

مقدمة:

لم يكتف الغرب والأوروبيون تحديدا المدفوعون بأطماعهم بتخريب حاضر الدول المستعمرة ونهب خيراتها والتنكيل بشعوبها بل " اتجهوا إلى ماضيها أيضا وسعوا إلى هدمه أو تشويهه بالقدر نفسه من الشراسة، ومن هنا لم يكن من المستغرب أن يسعى مثقفو تلك البلاد المستعمرة إلى ثقافتهم الوطنية لاستعادتها حتى لو تضمن ذلك ربطها بمهاد عرقي أو أسطوري. فإذا كانت أوروبا قد سعت إلى إحلال ثقافتها بلا حدود، فإن الرد المنطقي هو أن يرتمي مثقفو تلك البلاد على ثقافتهم بلا حدود أيضا." ¹ ولأن الأدب أهم عناصر الثقافة فقد كان السلاح الوحيد للشعوب المستضعفة أمام سطوة جلاذيتها.

لقد نصّب الغرب نفسه سيّدا ومركزا تدور في فلكه كل الشعوب؛ تأتمر بأمره، وتتحرك وتسكن بإشارته، تلتقط فضلة موائده وتستكثرها، بينما ينهب هو خيراتها ومواهبها ويستقلّلها، إنه الأنا في عظمته، والشعوب المغلوبة هي الآخر والهامش في ضيعته. ولأن لكل فعل ردة فعل تساويه في الشدة وتعاكسه في الاتجاه، فقد نهضت الشعوب المستضعفة المهملشة - وعلى رأسها إفريقيا - بمهمة استعادة التوازن والاستقرار للميزان الغربي الأعرج لتجعل من نفسها 'أنا' ومركزا بينما جعلت الغرب 'آخر' وهامشا.

تجلت الاستفاقة الإفريقية في جهود العديد من المنظمات والحركات الثقافية والأدبية، كالحركة الإفريقية المعروفة بـ 'الزنجية' كما نشأت " في عدد من مناطق العالم المستعمّر سابقا حركات وتوجهات فكرية وبحثية أخرى تستهدف نهضة الثقافات المحلية أو القومية بالإضافة إلى تعرية الخطاب الاستعماري وحمولته الثقافية والمعرفية " ² ذلك الخطاب الذي طالما تغنى بالرجل الغربي الأبيض

بوصفه رمز الحضارة والديمقراطية والنوايا الحسنة والبريئة.

ويعدّ الشاعر السوداني ' محمد مفتاح الفيتوري ' ³ أحد رموز النضال الأدبي في إفريقيا، فقد سخر نفسه وشعره ليكون لسانها الناطق عن قضاياها، ومحاميها عن حقوقها المشروعة المغتصبة؛ حيث سعى من خلال أدبه إلى ترسيخ قدم إفريقيا في هذا العالم وجودا وهوية جاعلا منها مركز الاهتمام ومعرّضا للغرب في كل مناسبة فاضحا ممارساته المخزية، لتتجلى ثنائية الأنا / الآخر، المركز / الهامش في أشعاره بشكل جلي.

فكيف تجلت الذات والهوية الإفريقية في شعره وتحديدا في قصيدته ' أغاني إفريقيا '؟

1. ثنائية الأنا والآخر:

1. 1- الأنا (Ego)

تتعدد دلالات الأنا بتعدد المجالات والتخصصات، والمدارس النفسية والفلسفية، ويدل في عمومها على الذات؛ فالأنا هو " الذات التي تردّ إليها أفعال الشعور جميعها وجدانية كانت، أو عقلية أو إرادية، وهو دائما واحد ومطابق لنفسه، وليس من اليسر فصله عن أعراضه، ويقابل الآخر والعالم الخارجي، ويحاول فرض نفسه على الآخرين، وهو أساس الحساب والمسؤولية " ⁴ ويقوم الأنا على أساس ضديته ونقضه للآخر من خلال تكوين مجموعة من التصورات حوله، ليصبح هو في المركز والآخر في الهامش.

1. 2- الآخر (Alter ego)

يقصد بالآخر ' نقيض الذات أو الأنا ' ويتميز بأنه ذو " تصنيف استبعادي يقتضي إقصاء كل ما لا ينتمي إلى نظام فرد أو جماعة أو مؤسسة، سواء كان النظام قيما اجتماعية أو أخلاقية أو سياسية أو ثقافية، ولهذا فهو مفهوم مهم في آليات الإيديولوجيا " ⁵، ما يؤكد شموليته ودخوله في مجالات عدة من

اهتمامات وحياة الإنسان، ولذلك يوظف هذا المصطلح في مختلف الدراسات كـ: "دراسات الخطاب، سواء الاستعماري (الكولونيالي) أو ما بعد الاستعماري، وكل ما يستثمر أطروحاتها مثل النقد النسوي، الدراسات الثقافية والاستشراق"⁶ إضافة إلى الفلسفة الفرنسية المعاصرة سواء أكانت فلسفة وجودية لدى جان بول سارتر أم ما بعد بنوية لدى ميشال فوكو، كما نجد له حضورا قويا في علم النفس عند جان لكان.

كما يعدّ مصطلح 'الآخر' أكثر المصطلحات تداولاً وحضوراً في دراسات ما بعد الحداثة؛ إذ إنه يمثل خيطاً رفيعاً يربط بين عدة علوم ويخترق عدة مصطلحات، وخصوصاً تلك التي تقوم على الثنائيات الضدية كـ: الاستشراق/ الاستغراب، النسوية/ الأبوية، الهامش/ المركز، الكولونيالية/ ما بعد الكولونيالية.. وتأتي أهميته في "الفلسفة السارترية الوجودية وفي علم النفس اللاكاني من جوهرية الأساسية في تكوين الذات وتحديد الهوية، وكذلك من إسهامه في تأسيس وتوجيه المنطلق الذاتي الشخصي والقومي والثقافي"⁷ وبهذا فالأنا والآخر مصطلحان متلازمان؛ ذلك أن وجود وتحديد أحدهما يستدعي وجود وتحديد الآخر.

3- من قضايا الأدب الأسود :

لقد قدّم الأدب الأسود والأدب الإفريقي خصوصاً صورة واقعية تعكس رفض الذات الإفريقية (السوداء) للآخر الغربي (أوروبا كان أم أمريكا). ويتميز هذا النوع من الأدب بعدة سمات منها :

- "أولاً : الارتباط العميق الوثيق بقضايا القارة، واستنكار السيطرة الاستعمارية،

حتى ليبدو الأدب في مختلف أشكاله وثيقة اجتماعية هامة .

- ثانياً: الوضوح الذي يصل إلى حد الشفافية في الأسلوب، وبخاصة فيما يكتب باللغة الإنجليزية والبرتغالية، حتى ليبدو الأدب مباشراً بعيداً عن الالتواء والحذقة والادّعاء.

- ثالثاً: التلقائية في التعبير، حتى ليبدو الأدب ساذجاً ببعض الشيء كما في أعمال توتولا بصفة خاصة. وقد أدّت هذه التلقائية إلى اختفاء العقلانية والسفسطة اللتين تتخمان الأدب الأوروبي.

- رابعاً: تتبع الرؤى والأساليب.
- خامساً : تغليب الذات على الموضوع، حتى لتبدو معظم آثار هذا الأدب تجارب ذاتية للكاتب"⁸.

اتخذت 'الزنجية' من الأدب وسيلة للتعبير عن أفكارها والدعوة إلى التحرر ورفض العبودية وإيصال صوت إفريقيا إلى كل العالم، كما سعت إلى "تصحيح الصورة النمطية التي كانت لصيقة بالأفارقة، وهيمنت عليهم فترة طويلة من الزمن، فكان الزنجي نموذجاً للتخلف، والهمجية، ولا يملك هوية، ولغة، ويعيش تحت لواء العبودية، هذه الأفكار أسهمت في جعله في الهامش"⁹ بوصفه 'آخر' غريباً ومختلفاً، بينما يحتل الغربي الأبيض المركز بوصفه 'الأنا'

4- موقع الفيتوري من الأدب الأسود /

الإفريقي :

لم يشذّ الفيتوري عن السرب حيث عبّر عن واقع الزنوج، وسعى إلى رد الاعتبار لهم بعد أن عاشوا دهوراً في كنف العبودية والرق والاستعمار، فلا ذكر ولا صوت ولا حقوق لهم، ولذلك لم يكن سوى الأدب شعراً ونثراً السبيل الذي يعينهم على

مجالات الحياة، هذا ما شكّل بؤرة صراع دائم بين الرجل الأبيض والزنجي أي بين الأنا والآخر.

5- تجليات الوعي بالذات والهوية الإفريقية

في قصيدة ' أغاني إفريقيا ' (أنا الإفريقي)

يقول الشاعر السوداني محمد الفيتوري :¹²

يا أخي في الشرق في كل سكن .

يا أخي في الأرض في كل وطن .

أنا أدعوك ..

فهل تعرفني ؟

يا أبا أعرفه رغم المحن .

إنني مزقت أكفان الدجى

إنني هدمت جدران الوهن

لم أعد مقبرة تحكي البلى

لم أعد ساقية تبكي الدمن

لم أعد عبد قيودي ..

لم أعد عبد ماض هرم .. عبد وثن .

أنا حيّ خالد رغم الردى

أنا حرّ رغم قضبان الزمن

فاستمع لي .. استمع لي

إنما أذن الجيفة صماء الأذن

إن نكن سرنا على الشوك سنينا

ولقينا من أذاه ما لقينا

إن نكن بتنا عراة جائعينا

أو نكن عشنا حفاة بأئسنا

إن تكن قد أوهت الفأس قوانا

فوقفنا نتحدى الساقطينا

إن يكن سحرنا جلادنا

فبنينا لأمانينا سجوننا

ورفعناه على أعناقنا

ولثمنا قدميه خاشعينا

وملأنا كأسه من دمنا

فتساقانا جراحا وأنيانا

إعادة الاعتبار، وتصحيح الرؤى والصور التي أنشئت حولهم ، وقد خص إفريقيا بأربعة دواوين شعرية هي : أغاني إفريقيا (1955) ، عاشق من إفريقيا (1964)، اذكريني يا إفريقيا (1965) ، أحزان إفريقيا (سولارا) عام 1969 ما يدل على مكانتها عنده.

ومرد هذا الاهتمام الكبير بإفريقيا ومعاناتها لدى الفيتوري هو الأصول الزنجية التي ينتمي إليها إضافة إلى روحه المتشعبة بالعروبة ؛ حيث أعلن " أن المسألة معقدة ... يقول : فأبي سوداني أسود وأمّي ليبية ابنة واحد من أكبر تجار الرقيق في ليبيا في بداية القرن ، وكانت جدتي من أمّي جارية جميلة سوداء تزوجها جدي وأعتقها .وفي حضن هذه الجدة تربيت مدة من حياتي متشعبا بتاريخ النخاسة " ¹⁰ وما أشبه إفريقيا به ! ولهذا جعلها قضيته الأولى والأخيرة ؛ حيث

الدفاع المشروع عن " الجنس الأسود ضد الأبيض المحتل . والكل يبتدئ وينتهي عند عتبة العنف ، الذي يعتبر أساس رد الفعل تجاه الحقيقة المخيفة التي يوجد عليها الإفريقي ، وهو كذلك النهاية عندما يجد التبرير الوحيد في الثورة " ¹¹

ولم يكتف الفيتوري باجتراح وإدكار المعاناة بل انتقل بعدها من حالة الدفاع إلى حالة الهجوم ؛ إذ تعدى إلى الكشف عن خبايا وأنساق الهيمنة والغزو الفكري في خطابات الرجل الغربي الأبيض مقدّما إياه بوصفه معتديا محتلا عديم الإنسانية ، وبهذا فقد أزاحه من المركز إلى الهامش ؛ هامش التاريخ والإنسانية ، ولم يكن هذا بالأمر الهين إذ إن الثقافة الأوروبية كانت وما زالت تمثل امتحانا عسيراً للأفارقة نظراً لعقدة الشعور بالنقص التي تعانيها الذات الإفريقية ؛ ففي مقابل الزنجي المغلوب على أمره نجد الرجل الأبيض الذي يحتل الريادة الفكرية ، والثقافية ، والحضارية ، والتفوق في كل

وجعلنا حجر القصر رؤوسا
ونقشناه جفونا وعيونا
فلقد ثرنا على أنفسنا
ومحونا وصمة الذلة فينا
الملايين أفاقت من كراها
ما تراها.. ملأ الأفق صداها
خرجت تبحث عن تاريخها
بعد أن تاهت على الأرض وتاها
حملت أفؤسها وانحدرت من روابيها
وأغوار قراها
فانظر الإصرار في أعينها
وصباح البعث يجتاح جباها
يا أخي في كل أرض عريت من ضياها
وتغطت بدجاها ..
يا أخي في كل أرض وجمت شفتها
واكفهرت مقلتها
قم .. تحرر من توابيت الأسى
لست أعجوبتها .. أو موميها
انطلق فوق ضحاها ومساها
يا أخي قد أصبح الشعب إلها.
جبهة العبد
ونعل السيد
وأنين الأسود المضطهد
تلك مأساة قرون غبرت
لم أعد أقبلها .. لم أعد
كيف يستعبد أرضي أبيض ؟
كيف يستعبد أمسي وغدي ؟
كيف يخبو عمري في سجنه ؟
وجدار السجن من صنع يدي .
أنا زنجي ...
وإفريقيتي لي لا للأجنبي المعتدي
أنا إنسان ولي حريتي
وهي أغلى ثروة من ولدي

أنا فلاح ولي أرضي
التي شربت تربتها من جسدي
أنا حر مستقل البلد
وسأبقى مستقل البلد
ها هنا واريت أجدادي هنا ..
وهم اختاروا ثراها كفنا
وسأقضي أنا من بعد أبي
وسيقضي ولدي من بعدنا
وستبقى أرض إفريقيا لنا
فهي ما كانت لقوم غيرنا
نحن أهرقنا عليها دمنا
ومزجنا بثرها عظمنا
وشققناها بحارا وربى
وزرعناها سيوفا وقنا
وركزنا فوقها أعلامنا
وتحدينا عليها الزمننا
وسنهدينا إلى أحفادنا
وسيحمون علاها مثلنا
فاسلمي يا أرض إفريقيا لنا
اسلمي يا أرض إفريقيا لنا

يستهل الفيتوري قصيدته بالنداء داعيا باسم
الأخوة تارة والإنسانية تارة أخرى ، فمن لم تحركه
الأولى فلا أقل من أن يطرب ويتحرك للثانية ؛ هي
دعوة إلى العرب والمسلمين بوصف الأخوة في
العرق والدين ؛ فالعربي (الشرقي) والإفريقي أخوان
في القضية والمصير المشترك ؛ كما لهما " باعث
واحد على مواجهة المجابهة اللامتساوية مع
المستعمر ، فهما يوجدان في حالة اضطهاد من لدن
نفس المضطهد. " ¹³ ، والمشار إليه بقوله ' يا أخي
في الشرق ... ' ، ودعوة عامة إلى أحرار العالم
بوصف الإنسانية ومبادئها ، فمن كان أخا في

الإنسانية لا ينقطع الأمل في إنسانيته، وهو الذي أشار إليه بقوله 'يا أخي في الأرض ..'.

وهناك آخر مغيب والمتمثل في الغربي المحتل، وقد تجاهله الفيتوري عمدا إذ لا أمل في إنسانيته، وهذا يعني أن الغربي ليس أخا لا في العرق ولا في الدين ولا حتى في الإنسانية، وقد أشار إليه في أبيات لاحقة بجملة من الصفات كالأبيض، الأجنبي، المعتدي، الجلال ...

إن الغرض من ذلك النداء الأخوي هو الدعوة إلى التخلص من النزعة العنصرية، والنظر إلى الأفارقة بإنسانية وعدل وإنصاف، فالحال قد تغيرت؛ إذ لم تعد إفريقيا رمزا للموت والمعاناة والحزن والفقر والتي سببها الاحتلال الغربي، فقد تخلصت من العبودية والنخاسة والذلة، وقد ولي الماضي البائس إلى غير رجعة؛ ماضي الصراعات والنزاعات والتخلف العلمي والعقائدي (عبادة الأوثان) بعد تخلصها من الاحتلال الغربي والجهل والتمزيق والهدم الذاتي، فالزنجي لم يعد رهين الصور النمطية التي ظلت لصيقة به فترة طويلة من الزمن، وإنّما سعى إلى التغيير وإلى إثبات وجوده بطرق شتى حتى تزول تلك الفروقات والحواجز المصطنعة بينه وبين الرجل الأبيض.

كما تظهر من خلال هذا المقطع النزعة الذاتية والأنا الراضية لتلك الصورة النمطية من خلال تحديد سمات الشخصية الإفريقية الجديدة؛ حيث ينطلق الفيتوري من معاناته الشخصية ليسقطها على إفريقيا عامة، يقول:

إنني مزقت أكفان الدجى

إنني هدمت جدران الوهن

لم أعد مقبرة تحكي البلى

لم أعد ساقية تبكي الدمن

لم أعد عبد قيودي ..

لم أعد عبد ماض هوم .. عبد وثن .

يأخذ الأنا الإفريقي في التمدد والتضخم مرة أخرى ليعلن الشاعر من خلاله عن حاضره الجديد والذي يختلف اختلافا جذريا عن ماضيه البئس جاهرا بالحياة والحرية المسلوبتين من قبل، ويدل على ذلك تكراره للفعل المنفي (لم أعد)؛ فقد كافح وتفوق على المعاناة والعبودية، لينتقل بذلك من حالة الوعي بوجود الذات إلى حالة إثبات وتأكيد الذات داعيا الآخر (الغربي) إلى تقديره والاستماع لصوته الحر الخالد لأن إعراضه يجعله شبيها بالجيفة الصماء.

وبهذا يؤكد الفيتوري على الهوية الحقيقية لإفريقيا وللإنسان الإفريقي بعيدا عن التزييف الغربي؛ هوية التفرد والحرية والكفاح لاسترجاع الحقوق، كما يؤكد أن الوقت قد حان لسماع صوت إفريقيا في المحافل الدولية، ويتابع تحديه صارخا

أنا حي خالد رغم الردى

أنا حر رغم قضبان الزمن

فاستمع لي .. استمع لي

إنها أذن الجيفة صماء الأذن

ويعود الشاعر مرة أخرى إلى المعاناة يستجمع منها قوته وما يعينه على مواجهة المحتل الغاصب، فقد استحضر زمن الذل والقهر والتسخير للرجل الأبيض، تلك المعاناة التي يرويها بشيء من المرارة موظفا عبارات مأخوذة من معجم الذل والهوان 'سرنا على الشوك سنينا / .. عراة جائعنا / حفاة بئسينا / أوهت الفأس قوانا' إضافة إلى تصوير واضح لزيف الآخر الغربي المدعي للحضارة والديمقراطية 'ولقينا من أذاه ما لقينا'.

ولكن الشاعر في هذه المرة يستعمل ضمير الجمع المتكلم (نحن) فالمعاناة مشتركة، ولذلك فالاتحاد هو السبيل الوحيد للمواجهة والتحدى، ولكي تتخلص الشعوب الإفريقية من ذلك عليها بالثورة على الذات أولا بوصفها أول عائق للإنسان

بتحريرها من الخوف والتردد وحب الحياة الآمنة المشوبة بالذل والهوان ، ومن ثم الثورة على المستبد لمحو وصمة العار التي لحقتهم والتخلص منها ، وقد كان لهم ذلك .

ومثلما اعتمد الآخر على تزييف صورة الأفارقة وتشويهها وإلحاق أسوأ الصفات بها ، فإن الشاعر يقدم الصورة الحقيقية للمحتل الغاصب أو الجلاد ؛ حيث يصوره بأبشع الصفات ؛ فهو شخصية انتهازية ، لا تكتفي بتسخير الأفارقة لخدمتها بل إنها تمعن في إذلالها وإهانتها دون رحمة أو شفقة بعيدا عن مقتضيات الإنسانية ، وهو ما يزيد في معاناتها ' سخرنا جلادنا / ورفعناه على أعناقنا / ولثمننا قدميه .. / وملأنا كأسه من دمنا /.. جراحا وأينا . وهذا جزء من الصورة التي أراد الفيتوري أن يرسمها للآخر المحتل وهو يروي المأساة بمرارة وحزن .

ولقد انتهت تلك المأساة بالثورة كخيار وحيد ، بدءا بالثورة على النفس وانتهاء بالثورة على الأعداء ' ثرنا على أنفسنا / ومحونا وصمة الذلة فينا ' " فإذا اتسم ماضي أفريقيا بظلام القهر والذل ، فقد أزف ذلك الواقع وانفتحت كوة ضوء على الأمل في مستقبل زاهر بينه الإنسان الأفريقي بنفسه بعد الغوص عميقا في ذاته والثورة عليها وعلى المستعمر ، وذلك بتحرير النفس من براثن الرهبة والخوف الذي ظل رديفها ردحا من الزمن ، وتحرير الأرض برفض الاستعمار القادم من وراء البحار " ¹⁴

هذه الثورة كانت مسبقة باستفاقة من سبات التخلف والخوف لتغدو نفوسا مشحونة بالوعي والإصرار على تغيير الأوضاع ، وقد بدأ هذا الوعي أولا بالوعي بالذات واختلافها عن هذا الآخر المحتل الذي نهب خيراتها وشوّه تاريخها ، فكان الوعي بالذات وجودا وتميزا بالوعي بالتاريخ أولى بؤادر التحرر والتغيير: ' الملايين أفاقت من كراها / خرجت تبحث عن تاريخها '

ثم يخص الشاعر الأخ الإفريقي بالدعوة إلى الثورة ونبذ الخوف والأسى والتمرد على البؤس والظلم ورفضه لواقعه ، فيقول له في لهجة ثائرة: ' يا أخي في كل أرض وجمت شفتاها ، قم .. تحرر من توابيت الأسى ، انطلق .. ' معظمها من شأن الشعب ووعيه حين يقول عنه أنه قد ' أصبح إلها ' ، وهي " صورة ربما يرى فيها البعض تجاوزا ، بيد أنها تعبر في سياقها عن مضاء العزيمة ، وقوة الإرادة غير المحدودة لدى الشعوب حين تؤمن بذاتها ، وتثق في مقدراتها " ¹⁵

كما يرفض الشاعر الماضي التعيس لإفريقيا ساهما بنظره نحو مستقبل زاهر يسود فيه الإفريقي على ذاته وأرضه ومقدراته بعيدا عن يد اللص الأجنبي المملوطة بدماء وثروات الأفارقة . فلقد أتاحت المقارنة بين ماضي إفريقيا المأساوي وحاضرها الوقوف على أهم الجهود الساعية إلى تحسين الأحوال. لهذا تعددت دعواته للذات الأفريقية - تصريحاً وتلميحا - " للتحرر من الإحساس بالضعف وهوان النفس التي طالما استمرأت الخضوع ، واستسلمت للاضطهاد وذل الاستعمار. فالذات الأفريقية التي يتحدث الفيتوري بلسانها تظهر رفضها الحاسم لماضي العجز والخور ، وانعدام الإرادة والخنوع للمستعمر " ¹⁶ ولا يتحقق ذلك إلا بالكفاح والمقاومة والعمل ، يقول :

جبهة العبد

ونعل السيد

وأنين الأسود المضطهد

تلك مأساة قرون غبرت

لم أعد أقبلها.. لم أعد

وبنفس النَّفس والنسق يواصل الفيتوري استنهاض الهمم ، والدفاع عن القيم الإنسانية ، وإبراز الذات الإفريقية في مركز القوة ، والاعتزاز

ثنائيات عدة منها: ثنائية الأنا / الآخر ، الحرية / الاستعباد ، المحو / الإثبات ، التفنيد / التأكيد ... بالنسبة لثنائية الأنا والآخر كان الصراع بين الذات الإفريقية والذات الغربية، وبدا التضاد واضحا في الكثير من الصفات :

الأنا	الآخر
- الإفريقي	- الغربي
- الزنجي الأسود	- الأبيض
- العبد	- السيد
- المضطهد	- المحتل
- المتخلف	- المتفوق

ولم يقتصر الصراع على أرض الواقع فقط بل امتد إلى المخيال وما يحمله كل طرف عن الآخر من صور؛ فقد نابو الفيتوري بين آليتي المحو والإثبات؛ حيث بدأ بمحو الصورة النمطية عن الإفريقي بوصفه رمز التخلف والعبودية ومحا كذلك الصورة المقدسة عن الغربي وادعاءاته بوصفه رمز التفوق والتحضر، ثم انتقل بعدها إلى آلية الإثبات؛ حيث أثبت الحرية والسيادة والاستقلالية للأفارقة في مقابل إثبات زيف الغرب وانتهازيته؛ إذ ليس إلا مجرد مجرم يزهق الأرواح، ومعتدٍ على أرض لا يملك منها شيئا .

كما تبرز الذات الإفريقية من خلال استخدام ضمير المتكلم المفرد (أنا) ليدل به على وحدة الصوت والكلمة؛ فالذات المتكلمة واحدة هي ذات الشاعر الذي يتحدث بلسانه وبلسان إفريقيا وشعبها معا ، واستخدام ضمير الجمع المتكلم (نحن) ليدل به على وحدة الماضي والحاضر ؛ ماضي المعاناة وحاضر والتحرر بسبب الاتحاد والوحدة الكفاح.

بالهوية الإفريقية من خلال الاعتزاز باللون والجنس والأرض وتراث الأجداد ، والتغني بالقوة والصلابة والتحدي والحرية ؛ حيث " يسعى إلى نصرة الجنس الأسود وتحرير الإفريقي وتأسيس شخصيته وذاته ، ونفض الوهن والضعف عنه " ¹⁷ وإثبات شخصيته المتفردة المتميزة بعيدا عن الصورة التي ابتدعها الغرب ، فيها هو يصرخ في وجه العدوان : ' أنا زنجي / وأفريقيتي لي لا للأجنبي المعتدي / أنا فلاح ولي أرضي .. / أنا إنسان ولي حريتي / أنا حر مستقل البلد ' وفيما يلي أمثلة تفصيلية لتلك النزعة القومية وقوة الاعتزاز .

فمثال الاعتزاز باللون ' أنا زنجي ' وبالانتماء ' ولي إفريقيتي ' والأرض ' أنا فلاح ولي أرضي ' ما يدل على التشبث بها بإثبات ملكيته لها، والاستقلال الغذائي وعدم التبعية للغرب .

والاستقلال السياسي ' مستقل البلد ' والتملك أي الملكية التامة للأرض ' وستبقى أرض إفريقيا لنا ' .

والسيادة الفعلية على النفس والأرض ' وركزنا فوقها أعلامنا ' .

والاعتزاز بالأجداد ' ها هنا وارىت أجدادي هنا ' .

وبقوة الأبناء (الأفارقة أبناء الحاضر) ' وتحدينا عليها الزمنا ' وبتضحياتهم ' نحن أهرقنا عليها دمنا ' .

وبوعي الأحفاد واستمرارهم في بناء إفريقيا ' وسيحمون علاها مثلنا ' .

خاتمة:

في الختام ليس لنا إلا أن نقرّ بأننا أمام شاعر عظيم سخّر حياته وأدبه ليكون محاميا وصوت إفريقيا الصالح بالحق في وجه الانتهازيين والغاصبين، وقد تجلّى في قصيدته صراع بين

مع تغييب للآخر وتجاهله وفي حال ذكره يصفه
بأشنع وأوضع الصفات كاللأجنبي، المعتدي
،الجلاد ..

وبهذا يدل طغيان الضمير المتكلم على
إثبات الذات والهوية والانتماء إلى الجنس الزنجي
والأرض الإفريقية ، فالشاعر يعتزّ بزنجيته
 وإفريقيته، كما يدل على نزعة المقاومة والتحدي ،

قائمة الإحالات :

¹ ميجان الرويلي وسعد البازعي ، دليل الناقد الأدبي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط 3 ، 2002 ، ص 160.

² ميجان الرويلي وسعد البازعي ، المرجع نفسه ، ص 160.

³ محمد مفتاح الفيتوري مؤلف وشاعر وكاتب مسرحي من أصل سوداني وليبي ، ولد في الجينة بغرب دارفور عام 1930.. حفظ القرآن الكريم في حداثته سنة ، استقرت أسرته بمدينة الإسكندرية حيث تابع دراسته الابتدائية والثانوية ثم انتقل إلى القاهرة للدراسة بكلية العلوم. زاول الرسم ، والعزف ، ونظم قصائد على منوال القصيدة العربية الكلاسيكية وفي الشعر الحر، توفي في 24 أبريل عام 2015 بالمغرب. (www.nizwa.com)

⁴ مراد وهبة ، المعجم الفلسفي ، دار قباء الحديثة ، القاهرة ، مصر ، ط 1 ، 2007 ، ص 95.

⁵ ميجان الرويلي وسعد البازعي ، المرجع السابق ، ص 21.

⁶ ميجان الرويلي وسعد البازعي ، المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

⁷ ميجان الرويلي وسعد البازعي ، المرجع نفسه ، الصفحة نفسها..

⁸ علي شلش ، الأدب الإفريقي ، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، العدد 112 ، مارس 1993 ، ص 225.

⁹ أحلام الراج ، تجليات الأنا والآخر في الأدب الإفريقي ، قراءة في رواية ' الإفريقي ' لوليم كونتون ، مخبر قضايا الأدب المغاربي ، جامعة البويرة ، م 6 ، ع 2 ، 2021 ، ص 50.

¹⁰ محمد السرغيني ، الزنوجة في شعر محمد الفيتوري ، مجلة نزوى ، www.nizwa.com ، تاريخ التصفح 03-04-2022.

¹¹ محمد السرغيني ، المرجع نفسه.

¹² محمد مفتاح الفيتوري ، أغاني إفريقيا ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، 1967 ، ص 33 وما بعدها.

¹³ محمد السرغيني ، المرجع السابق.

¹⁴ يسن إبراهيم بشير علي ، شعرية الانزياح في قصيدة ' أغاني أفريقيا ' للشاعر محمد الفيتوري ، مجلة علوم اللغات وآدابها ، العدد 28 ، 2021/1443 ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ، ص 315.

¹⁵ يسن إبراهيم بشير علي ، المرجع نفسه ، ص 313.

¹⁶ يسن إبراهيم بشير علي ، المرجع نفسه ، ص 311 - 312.

¹⁷ زينب منصوري ، ديوان أغاني إفريقيا لمحمد الفيتوري ، دراسة أسلوبية ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب واللغات ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة ، 2011 ص 101 .

قائمة المصادر والمراجع :

- أحلام الراج ، تجليات الأنا والآخر في الأدب الإفريقي ، قراءة في رواية ' الإفريقي ' لوليم كونتون ، مخبر قضايا الأدب المغاربي ، جامعة البويرة ، م 6 ، ع 2 ، 2021.

- زينب منصوري ، ديوان أغاني إفريقيا لمحمد الفيتوري ، دراسة أسلوبية ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب واللغات ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة ، 2011 .

- علي شلش ، الأدب الإفريقي ، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، العدد 112 ، مارس 1993.

- محمد مفتاح الفيتوري ، أغاني إفريقيا ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، 1967.

- محمد السرغيني ، الزنوجة في شعر محمد الفيتوري ، مجلة نزوى ، www.nizwa.com .

- مراد وهبة ، المعجم الفلسفي ، دار قباء الحديثة ، القاهرة ، مصر ، ط 1 ، 2007.

- ميجان الرويلي وسعد البازعي ، دليل الناقد الأدبي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط 3 ، 2002.

- يسن إبراهيم بشير علي ، شعرية الانزياح في قصيدة ' أغاني أفريقيا ' للشاعر محمد الفيتوري ، مجلة علوم اللغات وآدابها ، العدد 28 ، 2021/1443 ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية.